

الفصل الثالث

حق المرأة فى الهجرة والجهاد والإجارة

أولاً : مشاركة المرأة المسلمة فى الهجرة :

جعل الله عز وجل الهجرة سبيلاً إلى تحرير النفوس من الشرك ، والفرار بالإيمان من قوى الطغيان والبغى ، والرحيل من أرض حاقدة إلى أرض طيبة ومن جوار ناقم إلى جوار صالح .

ويحبب الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام الهجرة للمسلمين والمسلمات فى لهجة حانية رقيقة قائلاً : « لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يُظْلَمُ عنده أحد ، وهى أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه » . وبهذا التوجيه الكريم استقر مبدأ الهجرة ، وبدأ الاستعداد للرحيل ، وسارعت المرأة المسلمة إلى الهجرة ، فكانت خير رفيق للرجل ، وأفضل شريك له ومعوناً على الحق .

(أ) هجرة الحبشة :

كانت أولى المهاجرات رقية بنت الرسول ﷺ فى صحبة زوجها عثمان بن عفان رضى الله عنهما ، وكذلك سهلة بنت سهيل برفقة زوجها أبى حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، وقد ولدت له بأرض الحبشة محمد بن أبى حذيفة .

كما شارك فى هجرة الحبشة أيضاً أم سلمة بنت أبى أمية بن المغيرة مع زوجها أبى سلمة بن عبد الأسد بن هلال ، وأيضاً ليلي بنت أبى حنيفة التى شاركت فى الهجرة برفقة زوجها عامر بن ربيعة .

كما هاجر فيمن هاجر إلى الحبشة ثمانية نفر من أسرة مؤمنة من بنى عامر برجالها ونسائها ، منهم مالك بن زمعة قيس بن عبد شمس العامرى ، والسكران عمرو بن

عبد شمس ، وصحب ثلاثة من الثمانية زوجاتهم ، وكلهن عامريات : سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس ، وأم كلثوم بنت سهيل بن عمرو بن عبد شمس ، وعمرة بنت الوقودان بن عبد شمس .

وكانت أسماء بنت عميس رضى الله عنهما من ضمن المهاجرات إلى الحبشة ، ومن طريف ما يروى عنها أنه ذات يوم دخل عمر بن الخطاب رضى الله عنه على أم المؤمنين حفصة ، رضى الله عنها ، زوج النبي ﷺ وأسماء عندها زائرة ، فقال حين رأى أسماء من هذه ؟ قالت : أسماء بنت عميس . قال عمر : الحبشية هذه ؟ البحرية هذه ؟ قالت أسماء : نعم . قال عمر : سبقناكم بالهجرة فنحن أحق برسول الله ﷺ منكم ، فغضبت وقالت : كلا والله ، كنتم مع رسول الله ﷺ يطعم جائعكم ، ويعظ جاهلكم ، وكنا في دار البعداء والبغضاء بالحبشة ، وذلك في الله وفي رسول الله ﷺ ، وأيم الله ، لا أطعم طعاما ، ولا أشرب شرابا حتى أذكر ما قلت للنبي ﷺ ، وأسأله ، والله لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد عليه ، فلما جاء النبي ﷺ قالت : يا نبي الله إن عمر رضى الله عنه - قال كذا وكذا . قال الرسول : فما قلت له ؟ قالت : قلت كذا وكذا . قال الرسول : [لَيْسَ بِأَحَقَّ بِي مِنْكُمْ ، وَلَهُ وَلِأَصْحَابِهِ هَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ، وَلَكُمْ أَنْتُمْ - أَهْلُ السَّفِينَةِ - هَجْرَتَانِ] (١) .

وفي هجرة الحبشة وضع أول تشريع إسلامي ، ففي هذه الهجرة المباركة إلى الحبشة وُضع أول تشريع إسلامي ، وهو صورة الوكالة القانونية ، فقد طلب الرسول الكريم ﷺ إلى النجاشي ملك الحبشة أن ينوب عنه في زواجه من أم حبيبة بنت أبي سفيان ، بعد أن ارتد زوجها عن دين الإسلام ، وقد عقد عليها النجاشي للرسول ، فكانت هذه الإنابة مبدأ لصحة الوكالة في الزواج في التشريع الإسلامي ، واستمر هذا المبدأ في جميع التشريعات العالمية الوضعية .

وقد وجد المهاجرون والمهاجرات الأول عند النجاشي كل تكريم وتبجيل ، فقد آمن برسول الله ﷺ وصدق على نبوته غير أنه كان يكتُم إيمانه ، فقال لهم : « أشهد أنه رسول

(١) رواه ابن سعد في الطبقات بإسناد صحيح عن الشعبي .

الله ، وأنه الذى بَشَّرَ به عيسى بن مريم ، ولولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أحمل نعليه» .

(ب) بيعة العقبة الثانية :

واشتركت المرأة المسلمة فى هجرة بيعة العقبة الثانية ، حيث كان بصحبة وفد الأنصار من يثرب إلى مكة ، والبالغ عددهم ٧٣ رجلاً - امرأتان هاجرتا لتبايعا الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ، وهن أسماء بنت عمرو أم منيع من بنى سلمة ، ونسيبة بنت كعب أم عمارة من بنى النجار .

(ج) الهجرة الكبرى إلى يثرب :

١- دور السيدة أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنها فى الهجرة :

عندما جاوز الطغيان حده أتى إذن السماء بالهجرة الكبرى من مكة إلى يثرب ، مدينة الرسول ﷺ وشملت هجرة الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة جانب الإعجاز الإلهى ، وجانب الإيمان العميق ، والتخطيط العلمى الدقيق ، فقد تحقق النصر الإلهى بعد أن بذل الرسول والذين معه أقصى الجهد فى الفدائية والتخطيط العلمى الرائع ، سواء فى اختيار مكان الغار ، أو فى الاتصال بمكة وقت وجودهما فى الغار ، أو فى الاتصال بالمدينة ، أو فى اختيار الطريق من مكة إلى المدينة .

ففى جانب الاتصال بمكة كان عبد الله بن أبى بكر يأتى بالأخبار ليلاً بعد أن يقضى نهاره بين قريش يسمع ما يقولون ، وكان عامر بن فهيرة راعى أبى بكر يقضى نهاره بين رعيان قريش ثم يأتى للغار ليزيل أقدام عبد الله ، وليمد الرسول وصاحبه بما يحتاجان إليه من ألبان الغنم .

وكان للسيدة أسماء بنت أبى بكر دور رئيسى فى الهجرة ، حيث كانت مسئولة عن التموين ، فتكفلت بإعداد طعام الرحلة هى وأختها عائشة للمهاجرين الكريمين ، الرسول ﷺ وأبيها أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، فى غار حراء ، حيث كانت تذهب به إلى الغار فى الوقت الذى حدده الرسول وبلغه عبد الله بن أبى بكر لأخته أسماء بنت

أبى بكر ، التى اضطرت يوماً عندما لم تجد ما تربط الزاد به إلى انتزاع نِطَاقِها فشقتَه وربطت بنصفه الزاد وانتطقت بالنصف الثانى ، فلقبها الرسول ﷺ بذات النطاقين .

٢- هجرة أهل بيت النبى ﷺ وأبى بكر رضى الله عنهم :

أخرج ابن عبد البر عن عائشة رضى الله عنها ، قالت : « لما هاجر رسول الله ﷺ خلفنا وخلف بناته ، فلما استقر بعث زيد بن حارثة ومعه أبى رافع رضى الله عنهما مولاه ، وأعطاهما بغيرين وخمسائة درهم أخذاها من أبى بكر رضى الله عنه يشتريان بها ما يحتاجان إليه من الظَّهْرِ . وبعث أبو بكر معها عبد الله بن أُرَيْقُط بغيرين أو ثلاثة ، وكتب إلى عبد الله بن أبى بكر رضى الله عنهما أن يحمل أمى أم رومان ، وأنا ، وأختى أسماء امرأة الزبير رضى الله عنهما ، فخرجوا صُحْبَةً . فلما انتهوا إلى قديد^(١) اشترى زيد بن حارثة بالخمسائة درهم ثلاثة أبعرة ، ثم دخلوا مكة جميعاً ، فصادفوا طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه يريد الهجرة ، فخرجوا جميعاً .

وخرج زيد وأبو رافع بفاطمة ، وأم كلثوم ، وسودة بنت زمعة ، رضى الله عنهن . وحمل زيد بن حارثة أم أيمن وأسماء ، حتى إذا كنا بالبيداء نَقَرَ بغيرى وأنا فى محفة^(٢) ، معى فيها أمى ، فوالله ما أنسى قول أمى :

وابنتاه ، واعروساه ، حتى أدرك بغيرنا وقد هبط الثنية ، ثنية هرش^(٣) فسلم الله . ثم إنا قدمنا المدينة فنزلت مع آل أبى بكر ، ونزل آل النبى ﷺ ، وكان رسول الله ﷺ يبنى مسجده وأبياتاً حول المسجد ، فأنزل فيها أهله ، فمكثنا أياماً .

وأخرج ابن إسحاق عن زينب رضى الله عنها ، بنت رسول الله ﷺ ، أنها قالت : «بينما أنا أتجهز لقيتنى هند بنت عتبة فقالت : يا بنة محمد ، ﷺ ، بلغنى أنك تريدين اللحق بأبيك ، قالت : فقلت : ما أردت ذلك . فقالت : أى ابنة عم لا تفعل ، إن كان لك حاجة بمتاع مما يرفق بك فى سفرك أو بهال تبليغين به إلى أبيك فإن عندى

(١) قديد : موضع بين مكة والمدينة .

(٢) المحفة : مركب كالهودج ولكن لا قبة له .

(٣) ثنية هرش : مكان بين مكة والمدينة .

حاجتك فلا تحجلي مني ، فإنه لا يدخل بين النساء ما بين الرجال . قالت : والله ما أراها قالت ذلك إلا لتفعل . قالت : ولكن خفتها ، فأنكرت أن أكون أريد ذلك .

قال ابن إسحاق : فَتَجَهَّزَتْ ، فلما فرغت من جهازها قدم إليها أخو زوجها «كنانة ابن الربيع» بعيداً فركبته ، وأخذ قوسه وكنانته ، ثم خرج بها نهراً يقود بها وهي في هودج لها ، وتحدث بذلك رجال من قريش ، وخرجوا في طلبها حتى أدركوها بذى طوى ، وكان أول من سبق إليها «هَبَّارُ بن الأسود الفَهْرِي» فروَّعها هَبَّارُ بالرمح وهي في الهودج ، وكانت حاملاً فطرحته^(١) وبرك حموها كنانة بن الربيع ونثر كنانته ثم قال : والله لا يدنو مني رجل إلا وضعت فيه سهماً ، فتكركر^(٢) الناس عنه .

وأتى أبو سفيان بن حرب في جُلة من قريش فقال : يأبها الرجل ، كُفَّ عنا بئلك حتى نكلمك ، فكف ، فأقبل أبو سفيان حتى وقف عليه فقال : إنك لم تصب ، خرجت بالمرأة على رءوس الناس علانية وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا وما دخل علينا من محمد ، فيظن الناس إذ خرجت بابتته إليه علانية على رءوس الناس من بين أظهرنا أن ذلك عن دُلِّ أصابنا ، وأن ذلك ضعف منا ووهن ، ولعمري مالنا بحبسها من أبيها حاجة ، ومالنا من ثورة ، ولكن ارجع بالمرأة حتى إذا هدأت الأصوات وتحدث الناس أن قد رددناها فَسَلَّهَا سَرًّا^(٣) وألحقها بأبيها . قال : ففعل ، ثم جاءت بعد ذلك مهاجرة ، فلم تزل وجعة حتى ماتت من ذلك الوجع ، فكانوا يرون أنها شهيدة ، فكان رسول الله ﷺ يقول : « هي خير بناتى أُصِيبَتْ فِيَّ »^(٤) .

٣- أم كلثوم بنت عقبة بن أبي مُعَيْط :

أخت عثمان بن عفان لأمه ، فأمها أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب . بعدما هاجر النبي ﷺ وصاحبه أبو بكر ، ودليلهما من مكة إلى المدينة تحوطهم رعاية الله وعنايته - بست سنوات ، وبعد صلح الحديبية - خرجت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي

(١) أى : أسقطت حملها .

(٢) تكركر : تراجع .

(٣) سَلَّهَا سَرًّا أى : اذهب بها في خفية .

(٤) أخرجه ابن إسحاق ، والطبراني في الكبير .

معيط فارةً بعقيدتها ، راغبة في الله ورسوله ، ومشيت على قدميها من مكة إلى المدينة ، واستهانت بالصعاب ، وانتصرت على ظلمة الليل بنور الإيمان الذي يضيء أمامها الطريق ، وبقوة الله التي تمنحها المدد ، فتطوى لها الأرض طياً ، فتنسى بُعد الشقة وعناء السفر .

يقول ابن سعد في الطبقات الكبرى : « ولم تُعَلِّم قريشية خرجت من بيت أبيها مسلمة مهاجرة إلى الله ورسوله إلا أم كلثوم بنت عقبة » .

ويقول المفسرون في قوله تعالى :

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَأَمْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ
بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَأَهُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ
يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاثُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا ^(١) ﴾

يقولون إن اسم السورة مأخوذ من حادثة امرأة فَرَّتْ من الشرك إلى الإيمان ، فإنها نزلت في أم كلثوم بنت عقبة ، تلك المرأة التي تنتقل من الشرك إلى الإيمان ، فيحميها الإسلام ويحمي حريتها في اعتناق دين الحق بعد التأكد من إخلاصها في ذلك ، فلما كان رسول الله ﷺ والمسلمون معه بأسفل الحُدَيْبِيَّة جاءته أم كلثوم ومعها نساء مؤمنات يطلبن الهجرة والانضمام إلى دار الإسلام في المدينة ، وكان أول إجراء هو امتحان هؤلاء المهاجرات لتحديد سبب الهجرة ، وكانت صيغة الامتحان كما يقول ابن عباس رضى الله عنهما : « أن تستحلف بالله أنها : بالله ما خرجت من بغض زوج ، وبالله ما خرجت رغبة عن أرض إلى أرض ، وبالله ما خرجت التماس دنيا ، وبالله ما خرجت إلا حُباً لله ورسوله » . وهذا هو الامتحان لأُم كلثوم وبقية النساء المؤمنات المهاجرات ، وهو يعتمد على ظاهر حالهن وإقرارهن مع الحلف بالله ، فأما خفايا الصدور فأمرها إلى الله - تعالى - لا سبيل للبشر إليها .

(١) سورة الممتحنة - من الآية العاشرة .

﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ﴾ ﴿فإذا ما أقرن هكذا﴾ ﴿فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَأَهُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾^(١)

وجاءت قريش تطلب ردهن تنفيذاً للمعاهدة فلم يقبل الرسول رد المؤمنات المهاجرات إلى الكفار بما فيهم أم كلثوم إذ جاءه أخوها عمارة والوليد يطلبانها بشرط الحديبية الذى ينص على أن من جاء الرسول مؤمناً من قريش فيرده إلى مكة ، فردهما الرسول ، وبقيت أم كلثوم مع بقية المهاجرات ، وقال لأخويها : « إنما الشرط فى الرجال لا فى النساء » ، فإن نص صلح الحديبية لم يكن قاطعاً فى موضوع النساء ، فنزلت هاتان الآيتان من سورة الممتحنة تمنعان رد المهاجرات إلى الكفار لئلا يُفْتَنَ فى دينهن ، وهن ضعاف ، وبعد الهجرة إلى المدينة كانت قد نزلت آية سورة البقرة :

﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّى تُؤْمِنَ وَلَا مُمْسِكَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾^(٢)

فحرمت هذه الآية أى نكاح جديد بين المسلمين والمشركين .

أما ما كان قائماً بالفعل من زيجات بين المسلمين والمشركين فقد ظل إلى السنة السادسة للهجرة حتى نزلت فى الحديبية آية سورة الممتحنة السابقة الذكر ، فأصبح حراماً أن ينكح المسلم مشركة ، أو أن ينكح المشرك مسلمة ، وأمر الرسول بالتفريق بينهم^(٣).

٣- درة بنت أبى لهب رضى الله عنها :

أخرج الطبرانى عن ابن عمرو ، وأبى هريرة ، وعمار بن ياسر ، رضى الله عنهم ،

(١) سبق تحريمها .

(٢) سورة البقرة آية : ٢٢١ .

(٣) فى ظلال القرآن ، للشهيد سيد قطب .

قالوا : قدمت درة بنت أبي لهب رضى الله عنها مهاجرة فنزلت دار رافع بن المعلى الزرقى ، رضى الله عنه ، فقال لها نسوة جَلَسْنَ من بنى زريق : أنت بنت أبي لهب الذى قال الله فيه : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴾^(١) فما يغنى عنك مهاجرى ؟ فأتت درة النبى ﷺ فشكت إليه ما قُلْنَ لها ، فسكنها رسول الله ﷺ وقال : اجلسي . ثم صلى بالناس الظهر ، وجلس على المنبر ساعة وقال : [يَا أَيُّهَا النَّاسُ . . مَا لِي أُوَدِّي فِي أَهْلِي ؟ فَوَاللَّهِ إِنَّ شَفَاعَتِي لَكُنَّالُ حَتَّىٰ حَا وَحَكَمَ وَصَدَا وَسَلَهَبَ^(٢) يوم القيامة] .

ثانياً : حق المرأة فى الجهاد :

(أ) مشاركة المرأة فى الجهاد :

ثبت أن النساء كن يخرجن بإذن رسول الله ﷺ مع الجيش لخدمة الرجال ، وتمريض الجرحى ، والقيام بأعمال الإسعاف ، فيقول الإمام الشيخ محمد عبده :
إن تمرىض المرضى ومداواة الجرحى كانت تقوم به النساء فى عصر النبى ﷺ ، وعصر الخلفاء رضى الله عنهم ، بخروج النساء مع الغزاة فى سبيل الله ، وقد ترجم له البخارى بقوله : باب غزو النساء وقتلهن ، وجاء فيه عن الربيع بنت مَعُوذٍ قالت :
« كُنَّا نَغْزُو مع رسول الله ﷺ : نَسْفِي الْقَوْمَ ، وَنَخْذُمُهُمْ ، وَنَرُدُّ الْقَتْلَى وَالْجَرْحَى إِلَى الْمَدِينَةِ »^(٣) .

وعن أم عطية الأنصارية قالت :

« غَزَوْتُ مع رسول الله ﷺ سَبْعَ غَزَوَاتٍ أَخْلَفُهُمْ فى رِحَالِهِمْ ، وَأَصْنَعُ لَهُمُ الطَّعَامَ ، وَأُدَاوِي الْجَرْحَى » .

(١) سورة المسد - الآيتان : ٢ ، ١ .

(٢) أساء قبائل .

(٣) رواه البخارى وأحمد .

وعن أَنَسٍ قال :

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَغْزُوهُ ، وَأُمُّ سُلَيْمٍ وَنِسْوَةٌ مَعَهَا مِنَ الْأَنْصَارِ يَسْقِينَ الْمَاءَ وَيُدَاوِينَ الْجَرْحَى .

وما كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يقوم بغزوة إلا ومعه نساء . وقد قال الفقهاء : إن الجهاد فرض كفاية ، ولا يجب على أصحاب الأعدار لأعدارهم ، ولا يجب على المرأة ؛ لأنها مشغولة بحق زوجها ، وحق العبد مُقَدَّمٌ على حق الله ، ويدل هذا على : « أن الزوج إذا أَذِنَ لامرأته أن تخرج مجاهدة ، أو أخذها معه في الجهاد ، لا يكون عليه ولا عليها من بأس في ذلك ، وكان لها ثواب المجاهدين في سبيل الله ؛ لأن الإسلام أُلْقِيَ فريضة الجهاد على الرجل ، وجعله عبئاً عليه دونها . وكان النبي ﷺ يقرع بين نسائه إذا أراد السفر لغزو أو حج . ويدل هذا أيضاً على أن المرأة إذا لم تكن ذات زوج تشتغل بحقه فهي والرجل في وجوب الجهاد سواء ، وهذا كله إذا لم يهجم العدو ، فإذا هجم العدو وجب على جميع الناس أن يخرجوا للدفاع عن الحوزة ، وذلك لقوله تعالى في سورة التوبة :

﴿ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ^(١)

وفي هذا تجد المرأة أوسع مدى لمشاركة الرجل ومعاونته ، في أبرز مواقف الحياة وأشدّها ، وهو الجهاد ، هذا إذا كان هناك ضرورة لذلك ، لتمارس الأعمال التي تناسب ضعفها وفطرتها ، كخدمة الجَرْحَى ، وسَقْيِ الْمَاءِ ، وإعداد الطعام - بدون خلوة - وكل هذه الضرورات تقدر بقدرها ، وهذه غزوات الرسول وأصحابه كلها تنطق بهذا الحق .

وبوضع الشريعة الإسلامية المرأة في هذا الموضع في ميدان الجهاد هدمت الأساس

(١) سورة التوبة الآية : ٤١ .

الذى بنت الجاهلية عليه حرمانها من الميراث ، وهو أنها لا تحمى الذمار ولا تدافع عن البيضة . واعتبرت الشريعة الإسلامية أن للمرأة عملاً في الحرب تتطوع به ، وأنه قد يجب عليها عيناً كما يجب على الرجل سواء بسواء إذا اضطرت الظروف إلى ذلك .

وقد صح أن النبي ﷺ كان يعطى المرأة من الغنيمة ، وكان النبي ﷺ يبيع قتل المرأة إذا كان لها في قوة العدو رأى . وذكر رجال الحديث أن جملة من لم يؤمنهم النبي ﷺ يوم الفتح أربعة عشر ، كانت النساء منهن ستاً .

(ب) المرأة تحمل السلاح في الحرب « يوم حنين » :

بعد فتح مكة في رمضان المبارك - في السنة الثامنة للهجرة - تطايرت بقايا من الوثنية التي وجدت في قبيلة هوازن في حُنينٍ وقبيلة ثَقِيف بالطائف مأوى لها وملأذا . ولم يتمهل الرسول ، فصلى العيد في مكة وخرج إلى حُنين أول شوال من سنة الفتح في عشرة آلاف من أصحابه الذين شهدوا معه فتح مكة ، ومعهم ألفان من أهل مكة الذين أسلموا يوم الفتح .

وقد أعجبت المسلمين كثرتهم وكادت مأساة أُحد أن تتكرر ، فعندما وصل الرسول وصحبه إلى وادي تهامة كان المشركون من هوازن قد سبقوهم وباغتوا المسلمين ، فولى المسلمون راجعين لا يلوى أحدٌ على أحد ، وأنزل الله سكينته على رسوله وعلى القلة المؤمنة الصابرة التي ثبتت معه في اللحظة الحرجة .

ويلتفت ﷺ فيلمح بين هؤلاء المستبسلين الصحابة «أم سليم بنت ملحان» مثقلة بجنين تحمله وقد حزمت وسطها بِبُرْدٍ تتقى الإجهاض ومعها خنجر مُشَهَّرٌ ، فيقول عليه الصلاة والسلام : « أم سليم ؟ » .

وتجيب : نعم ، بأبى أنت وأمى يا رسول الله ! اقتل الذين ينهزمون عنك فإنهم لذلك أهل . قال الرسول : ألا يكفى الله يا أم سليم ؟

ويسألها زوجها أبو طلحة عن الخنجر الذى معها ، فتجيب : « خنجر اتَّخَذْتُهُ ، إنَّ

دنا منى أحد من المشركين بقرت بطنه . « ولم ينكر رسول الله ﷺ عليها ذلك ، ولم يضع النصر من هؤلاء المؤمنين كما ضاع يوم أُحد ، فقد تدارك الرسول القائد الموقف ، فأمر عمه العباس بن عبد المطلب ليستنفر المسلمين المنهزمين للجهاد مع نبيهم ، وعاد المسلمون ، والتحم الفريقان ، وكان النصر للمؤمنين بفضل الله .

وقد ذكّرهم القرآن الكريم بهذا اليوم في امتحان غزوة تبوك في العام التالي للفتح ، حيث قال تعالى في سورة التوبة :

﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ * ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ * ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١)

وكان النصر على قبيلة هوازن في حنين وحصار قبيلة ثقيف بالطائف نهاية للصراع ضد الشرك والوثنية ، بعدها عاد الرسول إلى مكة حيث أقام بها إلى آخر صفر من سنة تسع للهجرة ، ثم عاد إلى المدينة كوعده للأنصار .

كما شاركت أم سليم قبل ذلك في غزوة أُحد أيضاً ، فجاء في صحيح البخارى عن أنس رضى الله عنه قال : « لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ انْهَزَمَ النَّاسُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ عَائِشَةَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ وَأُمَّ سُلَيْمٍ تَنْقُلَانِ الْقِرْبَ عَلَى مُتُونِهِمَا وَظُهُورِهِمَا ، ثُمَّ تُفْرِغَانِهِ - الْمَاءَ - فِي أَفْوَاهِ الْقَوْمِ » (٢) كما ذكر البخارى عن الربيع بنت معوذ قالت : « كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ

(١) سورة التوبة - الآيات من ٢٥ - ٢٧ .

(٢) انظر : صحيح البخارى ، باب غزو النساء وقتالهن مع الرجال .

نَدَاوِي الْجَرْحَى ، وَنَزِدُ الْجَرْحَى وَالْقَتْلَى إِلَى الْمَدِينَةِ » (١) .

صفية بنت عبد المطلب تقتل رجلاً من المشركين :

عن عباد قال : كانت صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ فِي حِصْنٍ ، فَمَرَّ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ ، فجعل يطوف بالحِصْنِ ، وقد حَارَبَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ وَقَطَعَتْ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ الرَّسُولِ ﷺ مِنْ عُهُودٍ . . . تقول صفية : « وَلَيْسَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ أَحَدٌ يَدْفَعُ عَنَّا ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ فِي مُوَاجَهَةِ الْعَدُوِّ ، وَلَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَنْصَرِفُوا عَنْهُمْ إِلَيْنَا ، فَلَمَّا رَأَيْتُ الْيَهُودِيَّ يَطُوفُ بِالْحِصْنِ قُلْتُ : مَا آمَنُهُ أَنْ يَدُلَّ عَلَيَّ عَوْرَاتِنَا مِنْ وَرَاءِنَا مِنَ الْيَهُودِ ، وَقَدْ شَغَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، ثُمَّ أَخَذْتُ عَمُودًا ، ثُمَّ نَزَلْتُ إِلَيْهِ مِنَ الْحِصْنِ ، فَضَرَبْتُهُ بِالْعَمُودِ حَتَّى قَتَلْتُهُ ، فَلَمَّا فَرَعْتُ مِنْهُ رَجَعْتُ إِلَى الْحِصْنِ »

وعن ابن إسحاق « أَنَّ صَفِيَّةَ بِنْتَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ هِيَ أَوَّلُ امْرَأَةٍ قَتَلَتْ رَجُلًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ » .

(ج) نماذج مشرقة لبطولات المرأة المسلمة :

١- كعبية (٢) بنت سعد الأسلمية :

عند مشارف يثرب ، ومع جموع الأنصار تقدمت بنت سعد الأسلمية تنشد فَرِحَةً بقدوم الرسول ﷺ ، وتبايعه ، وتؤكد عزمها على الجهاد في سبيل الله بعد أن أسلمت على يد مصعب بن عمير .

في غزوة بدر :

وكانت موقعة بدر أول فرصة يعبر فيها الأنصار بقوة عن نُصْرَتِهِمْ وتأييدهم لرسول الله ودينه القويم حينما دعاهم الرسول للقتال . ووقفت كعبية الأسلمية ترقب الجموع المؤمنة من الرجال ، وتفكر فيما تستطيع أن تجاهد به في مثل هذا اليوم .

(١) ذكره البخاري في صحيحه تحت عنوان : مداواة النساء الجرحى في الغزو .

(٢) هكذا سماها ابن سعد - والمشهور «رفيدة بنت سعد» انظر : تهذيب التهذيب لابن حجر ج ١٢ ص ٤١٨ .

ووراء جيش المسلمين خرجت ثُلَّةٌ من النساء يحملن الماء للمحاربين تتقدمهن كعبية ، ثم دارت رَحَى المعركة ، وَحَمَى وَطِئُهَا ، وَجُرِحَ فيها بعض المسلمين ، فأسرعت كعبية تنتقل بين صفوف المسلمين تسعف المصاب منهم ، وتشعره بالعناية والعطف .

وكتب الله النصر المؤزر للمسلمين في بدر ، ودارت الدائرة على كفار قريش ، وعاد المسلمون منتصرين ومعهم كعبية إلى مدينتهم تغمرهم فرحة النصر . وأثار الله بصيرة كعبية ، وشاء لها أن تعرف كثيراً من فن التمريض ، فذاع صيتها ، ونالت في يثرب شهرة جعلتها مقصد الراغبين والراغبات في العلاج ، فأنشأت أول عيادة للتمريض جعلت مقرها مسجد الرسول ﷺ بخيمة كبيرة كانت تُعالج فيها المسلمين والمسلمات ، واكتسبت في التمريض عن أبيها سعد الأسلمي الذي كان كاهن قومه يثرب وعرفاهم وطبيبهم ، وكان يجيد فن التمريض والتطبيب .

في غزوة أحد :

وشهدت موقعة أحد وقامت بواجبها على أكمل وجه .

في غزوة الأحزاب :

وحينما زحفت أحزاب المشركين على المدينة ونكث يهود قُرَيْظَةَ عهدهم مع النبي ﷺ ، واتفقوا مع أحزاب المشركين على النبي ﷺ ، وأسرع المسلمون يحفرون الخندق حول المدينة ، وفي خلال المناوشات بين المسلمين والأحزاب دوت صرخة في الخندق ، وصاح المسلمون : لقد أُصِيبَ سعدُ بن مُعَاذ سيد الأوس - من الأنصار - وأسرعت كعبية إليه ، وكشفت عن جرحه حيث أصابه سهم بأعلى الصدر والدماء تنزف منه ، فأخذت تعالج جراحه وترعاه لتوقف نزيف الدماء ، وتركت السهم المستقر في صدره في مكانه ليحول دون انبثاق المزيد من الدم ، وبقيت كعبية بجواره تواسيه . ونَصَرَ الله عز وجل المسلمين وهَزَمَ الأحزاب ، وشفى غيظ سعد وهو يرى يهود بنى قُرَيْظَةَ يُسَاقُونَ إلى رسول الله ﷺ أَذْلَاءً صاغرين ، فطلب يهود بنى قريظة من الرسول أن يكون الحكم

فيهم إلى سعد ، فرضى الرسول ﷺ حُكْمَهُ فيهم بِقَتْلِ رجالهم ، وسَبَى نساءهم ، وتقسيم أموالهم . وهلل المسلمون وكَبَرُوا ، وعادوا منصورين آمنين .

في غزوة خيبر :

وظلت كعبية حتى آخر موقعة شهدتها مع المسلمين وهم يحاربون يهود خيبر ، ويُنزِلون بهم الذل والهزيمة ، ويجلّونهم عن ديارهم .

وأكبر الرسول ﷺ منزلة كعبية ، وأعظم جهادها وإخلاصها في كل معركة خاضتها مع المسلمين ، فقسم لها الرسول وهو يوزع الفَيء^(١) على المسلمين ، وأعطاهم سهمَ رجل .

هذه هى كعبية الأسلمية التى ساهمت بجهدِها وخبرتها فى التمريض فى معظم غزوات الرسول ﷺ ، والتى تُعدُّ أول ممرضة فى الإسلام ، أخلصت فى فنّها ، وبرعت فيه ، واستطاعت بإيمانها وإخلاصها أن تحرز هذا النجاح العظيم الذى جعلها موضع التكریم والتقدير من رسول الله ﷺ .

٢- السيدة أمية بنت قيس :

وفى غزوة خيبر أيضاً خرجت السيدة أمية بنت قيس بن أبى الصلت الغفارية مع رسول الله ﷺ ، تداوى الجرحى ، وتعين المسلمين ، وبارك الرسول عملها . . فقد روى عنها أنها قالت : « جِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فى نِسْوَةٍ مِنْ غِفَارٍ فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّا نُرِيدُ أَنْ نَخْرُجَ مَعَكَ فى وَجْهِكَ هَذَا - أى إلى خيبر - فَتَدَاوَى الْجَرْحَى ، وَنُعِينَ الْمُسْلِمِينَ بِمَا اسْتَطَعْنَا . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : عَلَى بَرَكََةِ اللَّهِ » .^(١)

٣- ليلي الغفارية :

أخرج ابن إسحاق عن ليلي الغفارية ، وهى امرأة من بنى غفار ، قالت : أتيتُ

(١) الفَيء : الغنمة .

(٢) جعلها الخطيب أبو بكر من الأساء التى يتسمى بها الرجال والنساء ويقال أيضاً : « أمية » .

(٣) رواه الواقدي ، و ابن اسحاق ، وأبو داود فى السنن (وانظر : أسد الغابة فى معرفة الصحابة ج ٧ ص ٣١ ط دار الشعب

رسول الله ﷺ في نسوة من بنى غفار فقلنا : يا رسول الله ، أَرَدْنَا أَنْ نَخْرُجَ مَعَكَ إِلَى وَجْهِكَ هَذَا - وهو يسير إلى خيبر - فَنُداوِيَ الْجَرْحَى ، وَنُعِينَ الْمُسْلِمِينَ بِمَا اسْتَطَعْنَا . فقال : « عَلَى بَرَكََةِ اللَّهِ » . قالت : وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ ، فَأَرَادَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَقِيبَةَ رَحْلِهِ ، فَوَاللَّهِ لَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الصُّبْحِ ، وَنَزَلْتُ عَنْ حَقِيبَةِ رَحْلِهِ فَإِذَا بِهَا دَمٌ مِنِّي ، وَكَانَتْ أَوَّلَ حَيْضَةٍ حِضَّتْهَا ، فَتَقَبَّضْتُ^(١) إِلَى النَّاقَةِ وَاسْتَحَيْتُ ، فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا بِي وَرَأَى الدَّمَ قَالَ : « لَعَلَّكَ نَفِسَتْ ؟ » قُلْتُ : نَعَمْ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : « فَأَصْلِحِي مِنْ نَفْسِكَ ثُمَّ خُذِي إِنَاءً مِنْ مَاءٍ فَاطْرَحِي فِيهِ مِلْحًا ثُمَّ اغْسِلِي مَا أَصَابَ الْحَقِيبَةَ مِنَ الدَّمَ ، ثُمَّ عُوْدِي لِمَرْكَبِكَ » .

قالت ليلي : فلما فَتَحَ اللهُ خيبر ، وَفَتَحَ لَنَا مِنَ الْفَيْءِ ، أَخَذَ هَذِهِ الْقِلَادَةَ فَأَعْطَانِيهَا ، وَعَلَّقَهَا بِيَدِهِ فِي عُقِّي ، فَوَاللَّهِ لَا تُفَارِقُنِي أَبَدًا ، وَأَوْصَيْتُ أَنْ تُدْفَنَ مَعِيَ ، وَكُنْتُ لَا أَتَطَهَّرُ مِنْ حَيْضٍ إِلَّا جَعَلْتُ فِي طَهُوْرِي مِلْحًا ، وَأَوْصَيْتُ بِهِ أَنْ يُجْعَلَ فِي غُسْلِي حِينَ مَوْتِي^(٢) .

٤- فاطمة الزهراء ، والسيدة عائشة ، وأم أيمن في غزوة أحد :

لما كان يوم أُحُدْ انصرف الناس كلهم عن النبي ﷺ ، وكان أول من أفاء إليه ﷺ أبو بكر الصديق ، ثم أدركه أبو عبيدة بن الجراح ، فإذا طَلَحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ الذي كان يقف دون رسول الله ﷺ وحده صريعاً بين يدي الرسول ، وقد رُمِيَ النبي ﷺ في وجنته حتى غَابَتْ حَلَقَةُ مِنْ حِلَقِ الْمَغْفَرِ^(٣) فِي وَجْنَتِهِ ، فَذَهَبَ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ لِيَنْتَزِعَهَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : نَشَدْتُكَ اللَّهُ يَا أَبَا بَكْرٍ إِلَّا تَرَكْتَنِي ، فَأَخَذَ أَبُو عُبَيْدَةَ السَّهْمَ بِفِيهِ ، فَجَعَلَ يَنْضِضُهُ^(٤) كَرَاهَةً أَنْ يُؤْذِيَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَتَّى اسْتَلَّهُ ، وَقَدْ نَدَرْتُ ثَنِيَّتَا أَبِي عُبَيْدَةَ^(٥) . وجاء على كرم الله وجهه بالماء لغسل جرح رسول الله ﷺ ، فكان يصب

(١) أى : تجمعت مُنْقَبِضَةً .

(٢) رواه أحمد ، وأبو داود من حديث ابن إسحاق .

(٣) المغفر : زَرْدٌ يُنْسَجُ مِنَ الدَّرُوعِ عَلَى قَدْرِ الرَّأْسِ ، يُلبَسُ تَحْتَ الْقِلَنْسَةِ .

(٤) ينضضه : يحركه حتى يستخرجه .

(٥) ندرت : سقطت . والثنية : إحدى الأسنان الأربع التي في مقدم الفم ، اثنتان من فوق ، واثنتان من تحت .

الماء على الجرح وفاطمة الزهراء رضى الله عنها تغسله ، فلما رأت أن الدم لا يكف أخذت قطعة من حصير فأحرقتها فألصقتها بالجرح فاستمسك الدم ، وكانت السيدة عائشة رضى الله عنها وأم أيمن الحبشية مربية الرسول ﷺ تشاركان في المعركة ، فتحملان على ظهرهما الماء للمسلمين ، وترعيان الجرحى .

٥- السيدة نسيبة بنت كعب أم عمارة :

أم عَمَارَةَ نَسِيبَةُ بِنْتُ كَعْبِ الْمَازَنِيةِ النِجَارِيَةِ الْأَنْصَارِيَةِ ، مُؤْمِنَةٌ مُجَاهِدَةٌ ، فَمَا إِنْ وَصَلَ مُضْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ إِلَى يَثْرِبٍ مَبْعُوثًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَقْبَلَتْ نَسِيبَةً مَعَ زَوْجِهَا زَيْدِ ابْنِ كَعْبٍ فَأَسْلَمَا ، وَشَهِدَتْ نَسِيبَةُ بَيْعَةَ الْعُقَبَةِ الثَّانِيَةِ ، فَفِي مَوْسَمِ الْحَجِّ خَرَجَ مِنْ يَثْرِبٍ إِلَى مَكَّةَ وَفَدَّ الْإِسْلَامَ الْأَوَّلَ الْمَكُونِ مِنْ سَبْعِينَ رَجُلًا ، مِنْهُمْ زَيْدُ بْنُ كَعْبٍ وَامْرَأَتَانِ ، أُولَاهُمَا نَسِيبَةُ بِنْتُ كَعْبٍ ، وَأَخْتُهَا فِي الْإِسْلَامِ أُمُّ مَنِيعٍ أَسْمَاءُ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ عَدَى ، حَيْثُ التَّقَوَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ عِنْدَ الْعُقَبَةِ ، فَبَايَعُوهُ . أَتَتْ نَسِيبَةُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهَا وَفَدٌ مِنَ الْمُسْلِمَاتِ يَسْأَلُنَّهُ السَّيَّاحَ لِهِنَّ بِالْجِهَادِ ، فَقَالَ لَهَا الرَّسُولُ : وَمَاذَا تَفْعَلِينَ يَا نَسِيبَةُ ؟ قَالَتْ : نَرْتَقِي الثِّيَابَ ، وَنَسْقِي الْجُرْحَى ، وَنُدَاوِي الْمَرْضَى . خَرَجَتْ نَسِيبَةُ مَعَ الْمُسْلِمِينَ فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ ، فَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ هِشَامٍ بِسَنَدِهِ عَنْ أُمِّ سَعْدِ بِنْتِ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَتْ : دَخَلْتُ عَلَى أُمِّ عِمَارَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، فَقُلْتُ لَهَا : يَا خَالَهٗ ، أَخْبِرِينِي خَبْرَكَ ؟ فَقَالَتْ : « خَرَجْتُ أَوَّلَ النَّهَارِ أَنْظُرُ مَا يَصْنَعُ النَّاسُ ، وَمَعِيَ سِقَاءٌ فِيهِ مَاءٌ ، فَانْتَهَيْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي أَصْحَابِهِ ، وَالذُّوْلَةُ^(١) وَالرَّيْحُ لِلْمُسْلِمِينَ ، فَلَمَّا انْهَزَمَ الْمُسْلِمُونَ انْحَزْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَمْتُ أَبَاشِرُ الْقِتَالِ وَأَذْبُ^(٢) عَنْهُ بِالسَّيْفِ ، وَأَزْمِي عَنْهُ الْقَوْسَ^(٣) حَتَّى خَلَصْتُ^(٤) الْجِرَاحُ إِلَى^(٥) .

(١) الذُّوْلَةُ : الْغَلْبَةُ .

(٢) أَذْبُ : أَدَافِعُ .

(٣) زَمَى عَنْ الْقَوْسِ وَعَلَيْهَا زَنْبًا وَرِمَايَةً : أَطْلَقَ سَهْمَهَا .

(٤) خَلَصْتُ : وَصَلْتُ .

قالت أم سعد : « فرأيتُ على عاتقها جرحاً شديداً أجوف له غورٌ فقلت لها : مَنْ أصابَكَ بهذا ؟ قالت : عمر بن قَمِيَّةَ أَقْبَاهُ الله . لَمَّا وَلَّى النَّاسُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَقْبَلَ يَقُولُ : دُلُونِي عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ ، لَا نَجُوتُ إِنْ نَجَا ، فاعترضتُ له أنا ومُضْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وَأُنَاسٌ مِنْ ثَبْتٍ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَضَرَبَنِي هَذِهِ الضَّرْبَةَ ، وَلَقَدْ ضَرَبْتُهُ عَلَى ذَلِكَ ضَرْبَاتٍ ، وَلَكِنَّ عَدُوَّ اللهِ كَانَ عَلَيْهِ دِرْعَانِ » .

وَقَدِّمَتْ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مُرُوطٌ ^(٥) فِيهَا مِرْطٌ جَيِّدٌ وَاسِعٌ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَوْ أَرْسَلْتَ إِلَى زَوْجَةِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ صَفِيَّةَ بِنْتِ أَبِي عُبَيْدٍ ، وَكَانَا حَدِيثَيْنِ عَهْدٍ بِالزَّوْجِ . فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : أَبْعَثْ بِهِ إِلَى مَنْ هُوَ أَحَقُّ مِنْهَا : أُمُّ عِمْرَةَ نَسِيبَةُ بِنْتُ كَعْبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : [مَا التَّقْتُ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا إِلَّا وَأَنَا أَرَاهَا تُقَاتِلُ دُونِي] .

وقد قتل مسيلمة الكذاب ابنها « حبيباً » حين قال له : أتشهد أن محمداً رسول الله ؟ فقال حبيب : نعم : قال مسيلمة أتشهد أنى رسول الله ؟ فقال : لا . فجعل يقطعها عضواً عضواً حتى مات في يديه . وخرجت أم عمارة مع المسلمين إلى اليمامة حيث قُتِلَ مسيلمة الكذاب ورجعت وبها جراحات مختلفة ، رضى الله عنها وأرضاها .

٦. أبو قدامة الشامي والمرأة الضعيفة :

قال أبو قدامة : « كنت أميراً على قوم ، فدعوتُ الناس إلى الجهاد ، فجاءت امرأة بورقة وُصْرَةٍ ، فإذا في الورقة : « إِنَّكَ دَعَوْتَنَا إِلَى الْجِهَادِ ، وَلَا قُدْرَةَ لِي ، وَهَذِهِ الصُّرَّةُ فِيهَا ضَفِيرَةٌ شَعْرَى ، فَخُذْهَا قِيدًا لِفَرَسِكَ ، وَلَعَلَّ اللهَ يَرْحَمُنِي بِذَلِكَ » قال أبو قدامة ، فلما صادفنا العدو رأيتُ صَبِيحًا يُقَاتِلُ ، فَزَجَرْتُهُ رَحْمَةً بِهِ ، فَقَالَ : كَيْفَ تَأْمُرُنَا بِالرَّجُوعِ وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى :

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ * وَمَنْ يُولِهِمْ يُؤْمِدْ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقَالٍ أَوْ مُتَحِيزًا إِلَى فِتْنَةٍ ﴾

(١) مروط : أكسية من خَزٍّ أو صوف . مفردها : مِرْط .

فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَيَسِّرُ الْمَصِيرَ ﴿١١﴾

ثم قال الصبي لى : أَقْرِضْنِي ثلاثة سهام . فقلت له : بشرط إنَّ مَنْ الله عليك بالشهادة أن أَكُونَ مِنْ شَفَاعَتِكَ . فقال : نعم . فَقَتَلَ الصَّبِيُّ ثَلَاثَةً مِنَ الْعَدُوِّ ، ثم أصابه سهمٌ . فقلت له : لَا تَنْسَ . قال : لا ، ولكن لى إليك حاجة . أقرئ أُمِّى السَّلَامَ وادفع لها متاعى ، فهى التى أعطتك الصرة التى بها ضفيرة شعرها . ثم قال أبو قدامة : ولما رجعتُ إلى أُمِّه قالت : أَنْعِزْنِي أم تهينى ؟ فقلت : ما معنى ذلك ؟ فأجابت : إنَّ كَانَ مَاتَ تُعْزِينِى . وإنَّ كَانَ قُتِلَ تهينى .

وبعد ، فهذا نموذج رائع للمرأة المسلمة التى تضحى بأعز وأعلى ما تملك فى الجهاد فى سبيل الله تعالى .

٧- سُمَيَّة (أم عَمَّار) أول شهيدة فى الإسلام :

كانت سُمَيَّةُ بِنْتُ خَيْط (أم عَمَّار بن ياسر) رضى الله عنها أمةً لأبى حُذَيْفَةَ بن المغيرة المخزومى ، وكان ياسر رضى الله عنه حليفاً لأبى حذيفة ، فَزَوَّجَهُ سُمَيَّةَ ، فولدت له عماراً ، فأعتقه أبو حذيفة .

وكانت من السابقين إلى الإسلام ، فكانت سابع سبعة فى الإسلام ، وعُذِّبَتْ فى الله عز وجل أشد العذاب ، فكان المشركون يُخْرِجُونَهَا إلى الصحراء إذا اشتدت الظهيرة والتهبت الرمال ، يطرحونها أرضاً ، ويضعون على صدرها الحجارة الثقيلة ، ويكون جسدها بالنار حيناً بعد حين ، ولم يسمع أحد أنَّهُ أَوْ شَكَا ، ويمر بها رسول الله ﷺ وهى على هذا الحال فيقول : « وَمَنْ يُطِيقُ مَا تُطِيقِينَ يَا أُمَّ عَمَّارَ ، صَبْرًا آلَ يَاسِرٍ فَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ الْجَنَّةَ » .

فَقَرَدُ سُمَيَّةَ : أشهد أنك رسولُ الله ، وَأَنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ . وجاء أبو جهل بِصَلْفِهِ وَجَبَرُوتِهِ فيعجب من صبرهم على العذاب ، ويغتاز منهم ، فطعن سُمَيَّةَ بحربته فى أسفل بطنها فقتلها ، فكانت أول شهيدة فى الإسلام .

(١) سورة الأنفال - الآيات : ١٦ ، ١٥ .

كانت أول شهيدة لتقول لكل امرأة مسلمة تَمَسِّكِي بدينك حتى الموت ، تمسكي بدينك ولا تَعَرِّتِي حضارة الشرق أو الغرب ، ولا تغرنك الحياة الدنيا ، ولا يغرنك بالله الغرور . ثم بعد ذلك كان الشهيد الثاني زَوْجُ سُمَيَّةَ «ياسرا» ونجاة عَمَّارٍ من القتل .
ويوم بدر عندما قُتِلَ أبو جهل ، قال النبي ﷺ لِعَمَّارِ بن ياسر رضى الله عنه : « قَتَلَ اللهُ قَاتِلَ أُمِّكَ » .

تلك نماذج طيبة وأمثلة رائعة للفداء والوفاء .

٨- خَوْلَةُ بِنْتُ الْأَزْوََرِ :

(أ) واقعة أجنادين :

أبت البطلة المسلمة خَوْلَةُ بِنْتُ الْأَزْوََرِ إِلَّا أَنْ تَرَافِقَ أَخَاهَا ضِرَارًا فِي وَاقِعَةِ أَجْنَادِينَ حين خرجت في جيوش المسلمين يقودها خالد بن الوليد إلى محاربة الروم على أرض الشام لتحررها من ظلمهم ، وتفتح هذه البلاد في وجه الإسلام والمسلمين ، وأُسِرَ ضرار ، فلبست خولة ثياب فارس وركبت فرسها وأسعدت إلى حيث يوجد جيش الروم، والمسلمون لا يعلمون ، وظنوا أن هذا الفارس هو خالد بن الوليد ، فإذا خالد بينهم ، فأمرهم أن يكروا على الروم مع ذلك البطل ، فهجم المسلمون وأخذوا أعدادًا من الروم أسرى ، وتبين لهم أن ذلك الفارس هو خولة بنت الأزور التي جعلت تَكْرُرُ على الروم لتخلص أخاها ضرارًا من براثنهم . وعلم المسلمون مِنْ أَسْرَى الروم طريق الجند الذين أخذوا ضرارًا أسيرًا ، فكَوَّنَ المسلمون فرقة لمطاردتهم ، وصممت خولة على أن تسبق هذه الفرقة بفرسها ، حتى أدركوا الجند وهزمهم ، واستخلصوا ضرارًا ليعود سالمًا مع أخته خولة ، تلك البطلة الشجاعة ، واشتركت خولة مع جيش المسلمين الذي فتح مصر ، ولم تَحْشَ طول السفر ولا بُعْدَ الشُّقَّةِ ولا خطر المعارك .

(ب) غزوة اليرموك :

أُسِرَتْ خَوْلَةُ بِنْتُ الْأَزْوََرِ وبعض المسلمات في موقعة «صحراء» ، وعز عليهن أن يَقَعْنَ في أيدي الكافرين ، فسألت خولة أخواتها : هل منكن مَنْ تَرْضَى أن تقع في

حوزة هؤلاء الكافرين ؟ فأجبن : الموت أحبُّ إلينا ممَّا تقولين ، ولكن ليس معنا سيوف نقاتل بها ونفك أسرتنا . فقالت : عليكن بِعُمْدِ الخيام ندافع بها عن شرفنا كمسلمات ، ولنحمل بآيماننا وتقوانا على هؤلاء اللثام ، فلعل الله ينصرنا عليهم . وهنا قامت عفراء بنت عفار وقالت : « والله يا خولة ما دَعَوْتُ إلى ما هُوَ أَحَبُّ إلينا ممَّا ذَكَرْتَ » .

وانكبَّت النساءُ في حماس وشجاعة بأعمدة الخيام ، وألقت خولة على عاتقها عمودها ، وتتابع النساء وراءها ، فقالت لهن خولة : « لا ينفك بعضكن عن بعض ، وكُنَّ كالحلقة الدائرة ، ولا تتفرقن فتُمكِّن ، فيقع بكنَّ التشيُّت ، وَحَطْمَنَ رِمَاحُ القوم » . وهجمت خولة هي والنساء ، وقَاتَلْنَ قتالَ المُستِميت حتى استنقذتهن من أيدي الروم .

وبعد أن استنقذت خولة الأسيرات من أيدي الروم وأخذت خطأها مع جيش المسلمين حتى كان النصر حليفهن بفضل الله .

(د) حتى لا يساء فهم هذا الحق :

ويجب علينا أن نوضح أن الإسلام قد ألقى بفريضة الجهاد على الرجل ، وجعله عبئا عليه دون المرأة ، وقد تمنى النساء قديماً أن يكون لهن حظ مما ذهب به الرجل . فقد روى أن أم سلمة زوج النبي ﷺ ومعها نسوة قالت : « لَيْتَ الله كَتَبَ عَلَيْنَا الْجِهَادَ كَمَا كَتَبَهُ عَلَى الرَّجَالِ ، فَيَكُونُ لَنَا مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ مَا لَهُمْ » فَتَزَلَّ قَوْلُهُ تَعَالَى :

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ^(١)﴾

فمن كانت تريد الأجر فسييله ما يَسَرُّه الله لها دون توقف على جهاد أو غيره :
﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا ، وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ إذ يجب أن تظل المرأة امرأة قائمة بما يسره الله لها من وظائف الأنوثة ، كما يجب أن يظل الرجل رجلاً قائماً بما

(١) سورة النساء - من الآية : ٣٢ .

يسره الله له من وظائف الرجولة ، فذلك هو منطق السُّنَن ، وسبيل عمارة الكون .
وعن أُمِّ كَبْشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا : أن امرأة من عذرة بنى قُضَاعَةَ قالت : يَا رَسُولَ اللهِ ،
أَتَأْذُنُ لِي أَنْ أَخْرَجَ فِي جَيْشٍ كَذَا وَكَذَا ، قال الرسول : لا .

قالت : يا رسول الله ، إِنِّي لَسْتُ أُرِيدُ أَنْ أَقَاتِلَ ، إِنَّمَا أُرِيدُ أَنْ أَدَوِيَ الْجَرْحَى
وَأَسْقَى الْمَرَضَى قال الرسول : « لَوْلَا أَنْ تَكُونِ سُنَّةٌ وَيُقَالَ فَلَانَةٌ خَرَجَتْ لِأَذْنُ لَكَ ،
وَلَكِنْ اجْلِسِي » (١) .

وأخرج البزار عن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : جاءت امرأة إلى النبي ﷺ
فقلت : يا رسول الله ، أَنَا وَافِدَةٌ النَّسَاءِ إِلَيْكَ : هَذَا الْجِهَادُ كَتَبَهُ اللهُ عَلَى الرِّجَالِ ، فَإِنْ
يُصِيبُوا أُجِرُوا ، وَإِنْ قُتِلُوا كَانُوا أَحْيَاءَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ، وَنَحْنُ مَعَشَرَ النَّسَاءِ نَقُومُ
عَلَيْهِمْ ، فَمَا لَنَا مِنْ ذَلِكَ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : [أُبَلِّغِي مَنْ لَقِيتِ مِنَ النَّسَاءِ أَنَّ طَاعَةَ
الرَّوْجِ وَالاعْتِرَافَ بِحَقِّهِ يَعْدِلُ ذَلِكَ ، وَقَلِيلٌ مِنْكُمْ مَنْ تَفْعَلُهُ] .

إنَّ الإسلامَ لا يَحُولُ دون عمل المرأة إِبَّانَ الحربِ في أعمالِ التمريض والإسعاف
والخدمة ونحوها ، ولقد كان يحدث ذلك في عصر الرسول ويأذن به ، غير أنه نظراً
للتفرقة العضوية بين الرجل والمرأة ، وطبيعة الأنوثة لدى المرأة ، وطبيعة استعدادها
للحَمْلِ والوضع والإرضاع ، وما تلقى بذلك من ضعف وألم ، تعجز عن حماية نفسها
أو قومها ، ولا يكون لديها من الطاقة ما تنهض به للدفاع ضد عدو ، فكان طبيعياً أن
يقوم عليها الرجل بتلك الحماية والرعاية ؛ لذلك نجد الإسلام قد ألقى بفريضة الجهاد
على الرجل (٢) إن الله لم يكتب على المرأة الجهاد ، وفي نفس الوقت لم يُحَرِّمُهُ عليها ، ولم
يمنعها منه حين تكون هناك حاجة إليها ، خاصة في مجال التمريض ومداواة الجرحى ،
وبحسب الحاجة والضرورة وليست هي القاعدة ، إن الجهاد لم يُكْتَبْ على المرأة لأنها تلد
الرجال الذين يُجَاهِدُونَ ، وهى مُهَيَّأةٌ لميلاد الرجال بكل تكوينها العضوى والنفسى ،
ومهيأةٌ لإعدادهم للجهاد وللحياة سواء بسواء ، وهى في هذا الحقل أقدر وأنفع ، وأما

(١) رواه الطبرانى في الكبير والأوسط ، ورجاهما رجال الصحيح .

(٢) انظر : البخارى ، باب غزو النساء وقتالهن مع الرجال .

الأجر والثواب فقد طمأن الله الرجال والنساء عليه ، فحسب كل إنسان أن يُحَسِّنَ فيها
وَكُلٌّ إِلَيْهِ لِيَبْلُغَ رُتَبَهُ الْإِحْسَانُ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى الْإِطْلَاقِ ، قَالَ تَعَالَى :

﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنتِي بِعَعْضِكُمْ
مِّنْ بَعْضٍ فَأَلِذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَتَلُوا
وَقُتِلُوا لَا كُفْرَانَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا أَذْخَلَنَّهُمْ جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴾ (١) .

ثالثاً : حق المرأة في الإجارة والأمان :

لم يقف التشريع الإسلامي بالمرأة في هذا الميدان عند حد إباحة خروجها مجاهدة بل
احترم أمانتها ودمتها . فقد رَوَى أبو الدرداء والنسائي عن عائشة قالت : « إِنْ كَانَتْ
الْمَرْأَةُ لِتُجِيرَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فَيَجُوزَ » . وقولها « فيجوز » معناه : أن يُحْتَرَمَ فِعْلُهَا في تأمين
وإجارة من تريد ولا يحقره أحد ولا ينقصه . وروى الترمذی عن النبي ﷺ قال : [إِنْ
الْمَرْأَةُ لَتَأْخُذَ لِلْقَوْمِ] یعنی : تُجِيرُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ .

ومن المتفق عليه ما قصته علينا كتب السيرة من أمثلة رائعة في هذا المجال ، والتي
تقرر هذا الحق للمرأة ، وقد طبق الرسول ﷺ هذا الحق في أهل بيته ، كما أقره فيما رفع
إليه من حالات .

(أ) الرسول يطبق هذا الحق في أهل بيته :

زينب بنت الرسول تفتدي وتجير أبا العاص بن الربيع :

في السنة الثانية للهجرة قامت معركة بدر الكبرى ، وانتصر الرسول والمسلمون ،
وَقُتِلَ مَنْ قُتِلَ وَأُسِرَ مَنْ أُسِرَ مِنْ كِفَارٍ قَرِيشَ ، وكان «أبو العاص» من أسرى بدر ،
وسيق أسرى بدر إلى يثرب بعد انتصار الرسول ﷺ وصحابته على قريش ، وتأملمهم
الرسول ملياً وقال : « اسْتَوْصُوا بِالْأَسَارَى خَيْرًا » . وجاءت رُسُلُ قريش من مكة في
فداء أسراها ، وكان أبو العاص ذا مال ، وقد أراد أهله أن يغلوا في فدائه ، لكن زوجه
زينب بنت الرسول أثرت أن تفتديه بما هو أعز من المال ، وتقدم «عمرو بن الربيع» أخو
أبي العاص ، فقال للنبي ﷺ : بعثتني « زينب بنت محمد » بهذا في فداء زوجها أخي

(١) سورة آل عمران الآية ١٩٥ . وانظر : مبادئ نظام الحكم في الإسلام للدكتور عبد الحميد متولى . وفي ظلال القرآن
لمسرحوم سيد قطب - المجلد الثاني .

أبى العاص بن الربيع ، وأخرج من ثيابه صُرةً قَدَّمَهَا إلى الرسول فإذا فيها قلادة لم يكدها الرسول يراها حتى رَقَّ لها رِقَّةٌ شديدة ، وخفق قلبه للذكرى . لقد كانت قلادة «خديجة» أهدتها إلى ابنتها «زينب» يوم عرسها حين زفنها إلى أبى العاص ابن خالتها «هالة» . وأطرق أصحاب الرسول خُشَعًا وقد أُخِذُوا بجلال الموقف وروعته ، قلادة الحبيبة تبعثها ابنة النبی إلى أبيها في فداء زوج حبيب ! وتكلم الأب النبی فقال في حنان : « إِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تُطْلِقُوا لَهَا أَسِيرَهَا وَتَرُدُّوْا عَلَيْهَا مَا لَهَا فَأَفْعَلُوا » . فهتفوا جميعًا بملء قلوبهم : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ (١)

وعاد أبو العاص إلى زوجته زينب بمكة ، وحمدت الله أن رده إليها وإلى ابنته سالمًا ، وتضرعت إليه سبحانه أن يشرح قلبه للإسلام . وكان الرسول قد طلب من أبى العاص أن يرد زينب إليه ؛ لأن الإسلام فَرَّقَ بينهما ، ووعد أبو العاص الرسول أن يدع زينب تسير إليه ، ووفَّى بوعده .

ومضت سنوات ست وزينب في حمى أبيها بالمدينة تعيش على أمل أن يشرح الله صدر أبى العاص للإسلام . وفي السنة السادسة للهجرة خرج أبو العاص تاجرًا إلى الشام في أموال له ولرجال من قريش ، فلما فرغ من تجارته وأقبلت قافلته لقيته سرية للرسول ﷺ فيها زيد بن حارثة ومعه مائة وسبعون رجلًا فأصابوهم ، وهرب أبو العاص متخفيًا مستجيرًا إلى بيت زينب ، فرحبت به وقامت زينب إلى الباب ثم صاحت بملء صوتها : « أَيْهَا النَّاسُ إِنِّي أَجَرْتُ أَبَا الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ » . وحمل نسيم الفجر صوتها إلى مسجد الرسول حيث صلاة الفجر ، فلما سلم الرسول ﷺ أقبل على مَنْ مَعَهُ فقال : « أَيْهَا النَّاسُ ، هل سمعتم ما سَمِعْتُ ؟ » .

أجابوا : نعم يا رسول الله .

قال : أما والذي نفس محمد بيده ما علمتُ بشيءٍ من ذلك حتى سمعتُ ما سمعتُ .

وأضاف الرسول بعد صمت قصير :

(١) انظر : الطبقات الكبرى ، لابن سعد ، ج ٨ ص ٣١ . . وبنات النبی ، للدكتورة بنت الشاطيء والسيرة ، ج ٢ .

« إِنَّهُ يُجِير عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَدْنَاهُمْ ، وَقَدْ أَجَرْنَا مَنْ أَجَارَتْ » .

ثم انصرف عليه الصلاة والسلام فدخل على ابنته وعندها ابن خالتها ، فما كادت تراه حتى هتفت ضارعة : « يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ أَبَا الْعَاصِ إِنْ قَرَّبَ فَأَبْنُ الْعَمِّ . وَإِنْ بَعْدَ فَأَبُو وَلَدِي . وَإِنِّي قَدْ أَجَرْتُهُ » . فرد الرسول : « أَيْ بُنَيَّةُ أَكْرَمِي مَثْوَاهُ ، وَلَا يَخْلُصَنَّ إِلَيْكَ فَإِنَّكَ لَا تَحْلِينَ لَهُ » . وفي الصبح بعث الرسول مَنْ يَصْحُبُ أَبَا الْعَاصِ إِلَى الْمَسْجِدِ حَيْثُ كَانَ ﷺ يجلس في جَمْعٍ من صحابته ، بينهم رجال السرية الذين أصابوا مال أبي العاص ، فقال لهم الرسول :

[إِنْ هَذَا الرَّجُلُ مَنَّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتُمْ ، وَقَدْ أَصَبْتُمْ لَهُ مَالًا ، فَإِنْ تَحْسَنُوا وَتَرَدُّوا عَلَيْهِ الَّذِي لَهُ فَإِنَّا نُحِبُّ ذَلِكَ ، وَإِنْ أَبَيْتُمْ فَهُوَ فِي اللَّهِ الَّذِي أَفَاءَ عَلَيْكُمْ ، فَأَنْتُمْ أَحَقُّ بِهِ » . فأحابوا بصوت واحد : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، بَلْ نَرُدُّهُ عَلَيْهِ . وأسرعوا يفعلون ، وقال الرسول وهو يودعه مثنيًا عليه : « حَدَّثَنِي فَصَدَّقَنِي ، وَوَعَدَنِي فَأَوْقَى لِي » (١) .

ومضى أبو العاص حتى بلغ مكة ، وأدى لكل ذى مال منهم ماله ، ثم قال بأعلى صوته :

« يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، هَلْ بَقِيَ لِأَحَدٍ مِنْكُمْ عِنْدِي مَالٌ لَمْ يَأْخُذْهُ ؟

أجابوا : لا ، فجزاك الله خيرًا ، فقد وجدناك وفيا كريما .

فقال : فأنا أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله . والله ما منعني من الإسلام إلا تخوف أن تظنوا أنني إنما أردت أن أكل أموالكم ، فلما أداها الله إليكم وفرغت منها أسلمت » (٢) .

ومع بداية المحرم من سنة سبع للهجرة ، وبعد عودة الرسول وصحبه من الحديبية ، استقبلت يثرب أبا العاص بن الربيع الذي توجه إلى مسجد الرسول ، وأثنى الرسول عليه خيرا ، ثم قام وصحبه إلى بيته ، ودعا إليه ابنته زينب فَرَدَّهَا عَلَى أَبِي الْعَاصِ ، وتلاقى الزوجان بعد فراق طال مداه .

(١) رواه البخارى ومسلم فى صحيحهما .

(٢) السيرة ، ج ٢ ص ٣١٣ .

ومضى عام واحد فحسب ، ثم كان الفراق الذى لالقاء بعده من هذه الدنيا ، حيث ماتت زينب فى السنة الثامنة من الهجرة . ولم يتزوج أبو العاص بن الربيع حتى لحق بزینب أيام أبى بكر فى ذى الحجة من السنة الثانية عشرة للهجرة^(١).

(ب) الرسول يقر هذا الحق فيما يرفع إليه من حالات :

١- أم هانئ تجير رجلين من بنى مخزوم :

حَدَّثَتْ أُمُّ هَانِئٍ بِنْتُ أَبِي طَالِبٍ ، وَكَانَتْ زَوْجَةً لِهَيْبَةَ بْنِ أَبِي وَهَبٍ الْمَخْزُومِيَّ ، قَالَتْ :

لما نزل رسول الله ﷺ بأعلى مكة - فى صبيحة يوم الفتح - فَرَّ إِلَى رَجُلَانِ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ - قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : هُمَا الْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ وَزُهَيْرُ بْنُ أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ - فَدَخَلَ عَلَى أَخِي عَلَى ابْنِ أَبِي طَالِبٍ وَرَأَاهُمَا ، فَقَالَ : وَاللَّهِ لَا أَقْتُلُهُمَا . فَأَغْلَقْتُ عَلَيْهِمَا بَابَ بَيْتِي ، ثُمَّ جِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ بِأَعْلَى مَكَّةَ ، فَوَجَدْتَهُ يَغْتَسِلُ مِنْ جَفْنَةٍ فِيهَا أَثَرُ الْعَجِينِ ، وَفَاطِمَةُ ابْنَتُهُ تَسْتَرُهُ بِثَوْبِهِ ، فَلَمَّا اغْتَسَلَ أَخَذَ ثَوْبَهُ فَتَوَشَّحَ بِهِ ، ثُمَّ صَلَّى ثَمَانِي رَكَعَاتٍ مِنَ الضُّحَى ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى فَقَالَ :

« مَرْحَبًا وَأَهْلًا يَا أُمُّ هَانِيءَ . مَا جَاءَ بِكِ ؟ » فَأَخْبَرْتُهُ خَبَرَ الرَّجُلَيْنِ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ وَإِصْرَارِ أَخِيهَا «عَلِيٍّ» عَلَى قَتْلِهِمَا . فَقَالَ ﷺ : « قَدْ أَجْرَتَا مِنْ أَجْرَتِ ، وَأَمْنًا مِنْ أَمْنَتِ يَا أُمُّ هَانِيءَ فَلَا يَقْتُلُهُمَا » . وَقَدْ جَاءَ فِي ذَلِكَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ :

[يَدُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ ، تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ ، وَيُجِيرُ عَلَيْهِمْ أَذْنَاهُمْ]^(٢) .

٢- أم حكيم تستأمن لعكرمة :

واستأمنت « أم حكيم بنت الحارث بن هشام » عام الفتح لعكرمة بن أبى جهل ، فَأَمَّنَهُ الرَّسُولُ ، مع أنه كان قد ذكر اسمه بين الذين أمر بقتلهم ولو وُجِدُوا تَحْتَ أَسْتَارِ الْكَعْبَةِ .

(١) بنات النبى ، للدكتورة بنت الشاطئ .

(٢) رواه أحمد ، وأبو داود ، وابن ماجه - وانظر : السيرة ج ٤ ص ٥٥

فهل يجد الناس فى تشريع مآ مثل هذه السعة التى نقدم لهم اليوم منها أمثلة صادقة فى ناحية من نواحي الحياة ، قد تكون فيما يرى الناس أضيق النواحي وأدقها فى التشريع والاحتياط ؟ وكلها توضح لنا وتؤكد كيف منح الإسلام المرأة حقوقًا كاملة فى مختلف نواحي الحياة .